# صنائع المعروف

## ﴿الخُطْبَةُ الأُوْلَى﴾

الحمدُ لله ذي الفضل والنِّعم والجودِ والكرم ، علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم . أحمده سبحانه وأشكره ، هدى ويسَّر ، ووفّق وألهم ، وأطلع على الأسرار والحِكَم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مبرّأة من الشكّ والريب والتّهم ، وأشهد أنّ سيدنا ونبيّنا محمّدًا عبد الله ورسوله النبيّ الأعظم والهادي الأكرم ، المبعوث للعرب والعجم ، صلى الله عليه وبارك وسلّم ، وعلى آله وأصحابه هم بدين الله أعلم ، ومنهاجُهم أسلم وأحكم ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلّم تسليمًا كثيرًا .

# عباد اللّه

اتقوا الله ، وتذكروا نِعَمه عليكم ، واشكروه عليها بالعمل الصالح ، فإن من شكر زاده الله توفيقًا ونعمة ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .

إن أعباءَ الدنيا جسام ، والمتاعبَ تنزل بالناس من اليتامى والأرامل والغرباء والضعفاء والمعسرين. والإنسانُ بمفرده أضعف من أن يصمد طويلاً تجاه هذه الشدائد ، ولئن صمد فإنه يبذل من الجهد ويقاسي من المعاناة ما كان في غنًى عنه لو أن إخوانه التفتوا إليه وهرعوا لنجدته وأعانوه في مشكلته ، فالمرء قليل ضعيف بنفسه كثيرٌ قوي بإخوانه.

ومن حق المسلم على أخيه المسلم أن يتألم لألمه ، ويحزن لحزنه ، ويعينه على دفع كربته ، أما موت العاطفة وقلّة الاكتراث وكأن الأمر لا يعنيه فهو تنكّر لهذه الأخوة ، فضلاً عن أنه جفاء في الخلق وجمود في الطبع.

والتألم الحق هو الذي يدفعك إلى كشف ضوائق إخوانك، فلا تهدأ حتى تزول الغمة وتنكشف الظلمة ،(( **الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ** )) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

# عباد اللّه

إن من رحمة الله حين خلق المعروف أن خلق له أهلاً فحببه إليهم وحبب إليهم إسداءه ، ووجههم إليه كما وجّه الماء إلى الأرض الميتة فتحيا به ويحيا به أهلها ، وإن الله إذا أراد بعبده خيرًا جعل قضاء حوائج الناس على يديه ، ومن كثرت نعم الله عليه كثر تعلّق الناس به ، فإن قام بما يجب عليه لله فيها فقد شكرها وحافظ عليها ، وإن قصّر وملّ وتبرّم فقد عرّضها للزوال ، ثم انصرفت وجوه الناس عنه.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (( مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ

فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ )). وفي صحيح مسلم من حديث أبي قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال (( مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ )).

فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا ، وأحب الخَلق إلى الله أنفعهم لعباده ، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والجزاء من جنس العمل ، فكما تعامل الخلقَ في الدنيا يعاملك الخالق سبحانه في الآخرة ، فاختر لنفسك.

ولما سئل نبينا ﷺ عن أحب الناس إلى الله وأحبِّ الأعمال إلى الله ، قال عليه الصلاة والسلام (( أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم للناس ، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخلُه على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحبّ إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا ـ أي: المسجد النبوي الذي الصلاة فيه بألف صلاة ـ ، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته ، ومن كظمَ غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزولُ الأقدام )) رواه الأصبهاني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما و حسنه الألباني .

وخيرُ عبادِ الله أنفعهم لهـــم
رواه من الأصحاب كلُّ فقيه
وإن إله العرش جلّ جلالُه
يُعينُ الفتى ما دامَ عون أخيـه

و قال ﷺ (( صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ )) رواه الحاكم من حديث أنس رضي الله عنه و صححه الألباني ، وقال ﷺ (( وكلُّ معروف صدقة ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة )) رواه الطبراني من حديث أم سلمة رضي الله عنها و حسنه الألباني .

والغبطة ــ **أيها الأحبة** ــ فيمن يسّر الله له خدمةَ الناس وأعانه على السعي في مصالحهم ، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال النبي ﷺ (( **لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا** )) متفق عليه .

ــ كثيرةٌ وحوائجُ الناس متنوعة: إطعامُ جائع وكِسوةُ عاري وعيادةُ مريض وتعليمُ جاهل وإنظارُ معسر وإعانةُ عاجز وإسعافُ منقطع ، تطردُ عن أخيك همًا وتزيلُ عنه غمًا ، تكفُل يتيمًا وتواسي أرملة ، تُكرمُ عزيزَ قوم ذلّ وتشكرُ على الإحسان وتغفرُ الإساءة ، تسعى في شفاعة حسنة تفكّ بها أسيرًا وتحقن

به دمًا وتجُرُّ بها معروفًا وإحسانًا ، وشهادةُ حق تردُّ وتحفظُ بها حقًا لمظلوم.

كلُّ ذلك تكافلٌ في المنافع وتضامنٌ في التخفيف من المتاعب ، تنفيسٌ للكروب ودفعٌ للخطوب ، وتصبيرٌ في المضائق وتأمينٌ عند المخاوف ، وإصلاحٌ بين المتخاصمين ، وهدايةٌ لابن السبيل ، فإن كنتَ لا تملكُ هذا ولا هذا فادفع بكلمة طيبة وإلا فكفَّ أذاك عن الناس ، فإنه صدقةٌ منك على نفسك .

أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال (( تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّالَّةِ صَدَقَةٌ ، وَنَظَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ صَدَقَةٌ ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ، وَإِفْرَاغُكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ )) وصححه الألباني .

فاتقوا الله رحمكم الله ، وأصلحوا ذات بينكم ، ولتكنِ النفوسُ سخيةً والأيدي بالخير ندية ، واستمسكوا بعرى السماحة ، ومن بذَلَ اليوم قليلاً جناه غدًا كثيرًا. تجارةٌ مع الله رابحة ، وقرضٌ لله حسن مردودٌ إليه أضعافًا مضاعفة ، إنفاقٌ بالليل

والنهار والسر والعلن ، ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء:١١٤.

بارَك الله لي وَلَكُم في القرآنِ العَظيم، ونفعني الله وإيّاكم بما فيهِ من الآياتِ والذّكر الحَكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفِر الله لي ولَكم ولجميعِ المسلِمين من كلّ ذنب فاستغفِروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

## ﴿الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ﴾

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، له الملك وله الحمد ، هو المتفضل وصاحب الفضل ، هو الكريم وصاحب الكرم ، خلق عباده وفضّل بعضهم على بعض ، وجعل بعضهم فوق بعض درجات ، يعزّ ويذل ، يغني ويفقر ، يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾الأنبياء:٢٣، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين ، الذي وصفته زوجه خديجة رضي الله عنها لمّا بُعث [ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ ]

متفق عليه .

فكان المصطفى ﷺ يفرج كرب المعدم ومن أصابته النوائب ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة في الله ، ويبلغ الأدب غايته حين يعلم باذل المعروف أن ما يقدمه من المعروف هو حق لمن قدمه لهم ، ساقه الله على يديه ، فلا ينتظر منهم جزاءً ولا شكورًا ، بخلاف من يتبع معروفه بالمنّ والأذى ، فإنه يمحق أجره ويُبطل ثوابه ، ويُعرّض ما أنعم الله به عليه للزوال.

فالمال والجاه والمنصب وغيرها كلّها من الله ، هو واهبها ، وهو القادر أن يسلبها من العبد في لحظة.

فيا من جعل الله حوائج الناس إليه ، ابذل المعروف لهم ، صدقة وإحسانًا ، مساعدة وشفاعة ، فقد كان السلف رحمهم الله يفرحون بقضاء حوائج الناس أيما فرح ، يقول حكيم بن حزام ﷺ [ **ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب** ] .

ليس للمعروف حدّ ، بل لا يقتصر بذل المعروف على بني آدم ، فحتى البهائم والحيوان في بذل المعروف لها أجر ، فالرحمة في ديننا شملت البهائم حتى القطط والكلاب ، قال رسول الله ﷺ (( دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً )) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي صحيح مسلم (( أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا )).

إن كانت الرحمة وبذل المعروف لكلب من امرأةٍ بغي أوجب لها ما أوجب ، ألا تكون الرحمة وبذل المعروف والإحسان للمسلمين أعظم وأنفع؟! فالمعروف وصنائع المعروف تثمر حتى مع البهائم العجماوات.

يذكر الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عند حديثه عن الإمام القدوة العالم الجليل شيخ الإسلام في زمانه سفيان الثوري رحمه الله قال [ يقول أبو منصور: بات سفيان الثوري في هذا البيت ، وكان هنا بُلبل لابني ، فقال سفيان : ما بال هذا محبوسًا ؟! لو خُلّي عنه ، قال : فقلت : هو لابني وهو يهبه لك ، قال سفيان : لا ، ولكن أعطيه دينارًا ، قال : فأعطاه دينارًا وأخذ البلبل وخلّى عنه . يقول أبو منصور : فكان البلبل يذهب يرعى فيجيء بالعشي ـــ آخر النهار ـــ

فيكون في ناحية البيت ، فلمّا مات سفيان الثوري تبع البلبل معنا جنازته ، فكان البلبل يضطرب على قبره ، ثم اختلف بعد ليالٍ إلى قبره ، فكان ربما بات عند القبر ، وربما رجع إلى البيت ، ثم وجدوه ميتًا عند قبر سفيان الثوري رحمه الله ، فدفن عنده.

هكذا يصنع المعروف مع الطير والبهائم فكيف مع بني الإنسان؟! كيف مع إخواننا المسلمين؟! إنه لأعظم أجرًا ومثوبة ونفعًا في الدنيا والآخرة.

هذا وصلوا و سلموا على رسول الهدَى ، فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَـتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾.

**اللّهمَّ** صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولك محمّد، وارضَ اللّهمّ عن الخلفاءِ الأربعة الرّاشدين...

**اللهم** أعز الإسلام والمسلمين .....

**اللهم** أرنا الحق حقا وأرزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وأرزقنا اجتنابه .

**اللهم** ارحم موتانا وأشف مرضانا وتولى أمرنا .

**اللهم** إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

**اللهم** اجعلنا نشكرك ونذكرك حتى ترضى .

**اللهم** اجعلنا ممن أحسن الظن بك .

**اللهم** اجعلنا أغنى خلقك بك ، و أفقر عبادك إليك .

**اللهم** آت نفوسنا تقواها و زكها أنت خير من زكاها .

**اللهم** ارفع ذكرنا ، و ثقل موازيننا ، و اختم بالصالحات أعمالنا .

**اللهم** انتقم لنا ممن عادانا في أنفسنا ، و في ديننا ، و في أخلاقنا .

**اللهم** عوضنا فيمن يسعدنا ، و يجمع شملنا ، و يريح قلوبنا .

**اللهم** أنزل علينا سكينة من عندك ، تثبت بها قلوبنا ، و تعصمنا بها من ارتكاب معاصيك .

**اللهم** إنك تعلم ما في السرائر ، فحقق آمالنا و أحلامنا .

**اللهم** اكتب لنا سعادة تزيل غشاوة ما قد سبق .

عباد الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ ٱلأيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

واذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر ، الله يعلم ما تصنعون .